الفصل الثاني

مستويات الإفراد

الإطار الصوتي المعزول دلاليا

حين يقدم المتكلم رسالة لُغوية يعمد إلى وسيلتين : النطق أو الكتابة . وكلتاهما متساويتان بالنسبة لطبيعة العمل الإبداعي ، ولكن يبدو أن النقد العربي القديم كانت له عناية خاصة بالوسيلة الأولى ، وهذا بدوره أدى إلى أن يكون في الاعتبار دائمًا وعي المبدع بمستويات الصياغة صوتيا ؛ لأنها أكثر صلة بالموقف والمقام ، وبالسلوك الفردي ، بل أكثر صلة بعملية التلقي وما يتبعها من ردود فعل ، قد لا تتحقق في المستوى المكتوب .

وقد اهتم النقاد القدامى بأساسين صوتيين أحدهما يتصل بالمخرج ، والآخر بكمية المنطوق ، وبمعنى آخر بالكيف والكم المنطوق ، وكان لذلك اعتباره في الحكم على النص الأدبي بالحسن أو بالقبح . وربما كان ذلك وليد نوع من المهارة والمران في التمييز بين الفروق الدقيقة في الصوت ، فتستريح الأذن إلى كلام معين لحُسْن وَقْعِه أو إيقاعه ، وترفض غيره لما فيه من نبوٍّ أو تنافر .

وقد نقل الرماني عن الخليل بن أحمد مذهبه في التنافر « فالسبب فيه البعد الشديد أو القرب الشديد ، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد ؛ لأنه بمنزلة رفع